وبني بكر . وقد سبق في ذكر تاريخ عرب الجزيرة انَّهم دانوا كلهم بالنصرانيَّة وفي المعارف لابن قتيبة « ان تنوخ وغر وكلب ثلاثتهم اخوة ». وفي فتوح البلدان للبلاذري ( ص ٢٤٧ ) انَّ بني النمر بن قاسط حاربوا خالد بن الوليد في عين تمر مع تغلب واياد والقبائل العربيَّة المتنصرة . وكانوا سنة ١١ للهجرة حاربوا المسلمين في البحرين مع شيبان وتغلب ( الطبري ج ١ ص ١٩٧٣ )

١٦ ﴿ بشكر ﴾ فرع من بني بكر كانوا يدينون بالنصرانيَّة كاخوتهم من بكر . وكانوا من جملة العرب الذين حاربوا العجم يوم ذي قار . وكانوا محالفين للخميين ويحاربون معهم وكفى بذلك دليلاً على دينهم

هذا ما امكننا جمعهُ من آثار النصرانيَّة في قبائل العرب ولو سمح لنا الوقت بمراجعة كثير مما لدينا من المطبوعات والمخطوطات لوجدنا ادلَّة غير التي ذكرنا . ولا بُدَّ هنا من تنبيه القرَّاء الى امر مهم وهو ان قدماء الكتبة ما كانوا غالباً يكترثوا بذكر اديان قبائل العرب لاسيما قبل الاسلام فيطلقون عليهم اسم الجاهليَّة او اسم المشركين دون الافراز بين النصارى وغيرهم . وكانوا لا يرون في نصرانيتهم امرًا غريباً على خلاف اليهود فانهم اذا ذكروا قبيلة يهوديَّة عرَّفوا دينها سواء ارادوا بذلك تمييزها او قصدوا بيان اصلها الاجنبي . تمَّ الجزء الاول . ( ويليه الجزء الثاني في الآداب النصرانيَّة بين عرب الجاهليَّة )

# من بيروت الى الهند

للاب لويس شيخو اليسوعي ( تابع )

١٠ مار يعقوب — القوش — رَبَّان هرمز

تمرُّ طريق زاخو الى مار يعقوب بين جبال تُدعى بها « زاخو داغ » تنفصل قضاء زاخو عن سهول الموصل . فلمَّا قطعناها احببتُ ان اتقدَّم امام القفل ماشياً لاصلي صلاتي في عزلة كمألوف عادتي . فوجدت في تلك الاودية من مشاهد الطبيعة ما كان يرفع قلبي الى الله . ولم يخطر على بالي ان اللصوص وبما كمنوا في تلك القفار يسلبوا ابناء السبيل

وانا لكذلك اذ واجهتُ في مضيق من الطريق نفرًا من اجلاف الاكراد المدججين بالاسلحة كانوا متجهين الى زاخو. فلمَّا رأوني منفردًا ماشيًا نظروا اليَّ شزرًا وتهامسوا سرًّا امَّا انا فلم ابالِ بل سلَّمتُ عليهم وسرتُ في طريقي دون ان انسب اليهم فكرًا سيئًا لكنهم بعد قليل استقبلوا رفقتي فسمعوهم يقولون في لغتهم: « ما لنا لا نقتل هؤلاء الكفَّار كما يفعل اخوتنا في سعرت وديار بكر » فاستدللوا من كلامهم على سوء نيتهم واسرعوا اليَّ طالبين أَلَّا ابتعد عن القتل لاسيما اخي الذي اوقف نفسهُ لخدمتنا في هذا السفر

والحقّ يقال انَّ هؤلاء الاكراد كانوا خلعوا العذار وقلبوا ولايات ديار بكر ومعمورة العزيز ووان ظهرًا لبطن. وهم عدَّة قبائل كالهاوند والكوتشك والحكَّاريين يبلغ عددهم في جبال كردستان وسهول العراق والجزيرة نحو مليونين وهم مسلمون شيعيون لغتهم فرع من الفارسيَّة وكثير منهم يرتزقون بالفلاحة الَّا انَّ قسمًا كبيرًا يفضلون قطع الطرق ولا تقوى الدولة على كبح جماحهم الَّا بالجهد الجهيد. فلمَّا اطلق السلطان عبد الحميد يدهم على الارمن في خريف سنة ١٨٩٥ اندفعوا كالسيل الجحاف الى كل الجهات حيثما يؤملون غنيمة باردة. على انَّ الله انقذ ولاية الموصل من شرهم

وبعد ان قطعنا جبال زاخو انتصبت امامنا جبال اخر تتصل شرقًا بجبال عمَّادية وكوتشانس حيث يقيم النساطرة. ففي مدخل تلك الجبال قرية صغيرة لا ينيف بيوتها على ٣٠ بيتًا تُدعى مار يعقوب. واسمها مشتقّ من اسم دير قديم كان هناك يرقونهُ الى قرون الميلاد الاولى. كان يسكنهُ كثير من الرهبان فخرب الدير وبقي في مكانهِ قوم من الفلاحين النساطرة. فلمَّا كانت اوائل القرن التاسع عشر سعى المرسلون الدومنيكان في ردّ تبعة نسطور الى حجر الكنيسة فبارك الله اتعابهم وارتدّ منهم اهل بعض القرى ومن جملتهم مار يعقوب. ثمَّ في السنة ١٨٤٥ اختار احد رؤسائهم الاب موكي قرية مار يعقوب فجعل فيها مقامهُ ليكون هو ورهبانهُ اقرب الى منازل النساطرة ليدعوهم الى الايمان الكاثوليكي. ثمَّ عمروا هناك ديرًا وانشأوا فيهِ مدرسةً سنة ١٨٧٥ لتهذيب بعض الاحداث الذين يرشحونهم للتعليم في مدارسهم القروية لاسيما في جبال النساطرة. وفي هذا الدير سكن مدَّة السيد بلانشه (Mgr.

( Planchet مدّة قصادته الرسوليّة في ما بين النهرين ( ١٨٥١ — ١٨٥٩ ) مع الاب يوسف لابورد رفيقه

ولا حاجة الى ذكر ما لقينا في مار يعقوب من التحفي فانّ رهبانهُ الافاضل استقبلونا على الرحب والسعة وأنسونا بلطفهم كل مشاقّ الطريق. فكانت ليلتنا بينهم من ابهج أوان سفرنا. وقد رأينا مدرستهم التعليمية الذي يبلغ عدد طلبتها نحو الثلثين تلوح على وجوههم لوائح النجابة والغيرة في خدمة مواطنيهم. ولا شكّ انّ هؤلاء المعلمين اسعفوا المرسلين في مهامّهم الرسوليّة بين الفاطرة واكسبوهم ثقة الاهلين الذين ارتدّ منهم الى الكثلكة نيف وعشرون الفاً

وفي صباح اليوم التالي قدّمنا الذبيحة المقدّسة في كنيسة الدير التي هي حسنة الهندسة بديعة النقوش مع صغرها ثم زرنا القرية القريبة من الدير ومنها يكشف النظر على بلاد نينوى ومزارعها المخصبة. وفي هذه القرية بناء يدعونهُ قبر الاسد فيروى ان الاسود كانت تأوي في الزمن القديم الى هذه الجبال فلمّا سكن الرهبان القدماء هذا المكان ظهر فيهِ اسد رئبال كاد يفرّق شملهم فامر رئيسهم احد مرؤوسيه بان يذهب الى الاسد ويقودهُ اليه فاطاع الراهب من وقتهِ وجازاه الله عن طاعتهِ بان ذلّل امامهُ ذاك الوحش الضاري وجعلهُ داجناً ألوفاً يخدم الرهبان في حاجاتهم. وبقي في خدمتهم سنين طويلة حتى مات فاسف عليه الجميع وحفروا لهُ قبرًا بين اربعة اشجار من السنديان تُرى الى اليوم واهالوا الحجارة على جثة الحيوان. ومن عجيب الامور ان الربيع كسى هذه الحجارة خضرة فصارت كالقبة الخضراء.

انحدرنا يوم الاثنين من دير مار يعقوب الى بقاع الموصل ولم نسر اليها توًّا بل عدلنا الى الشمال لنزور مدينة القوش ودير رهبانها الكلدان. وبعد ساعتين بلغنا قرية معلثاي ومعناها في الكلدانيّة المدخل. قيل انّ هناك كان مدخل مدينة نينوى التي ذكر سفر يونان ( ٣:٣ ) انها كانت « تمتدّ على مسيرة ثلاثة ايام ». وقد باشر الاثريون الاوربيون قريباً من معلثاي حفريات اوقفتهم على جملة آثار من كتابات على الآجر وابنية وتماثيل تتراوح بين القرن السابع والعاشر قبل المسيح

ثمّ قطعنا على ظهر الخيل نهر دهوك الجاري هناك فناخت الدابّة الحاملة لحوائجنا كأنّها تريد ان تغتسل بالماء. فبلّلت قسماً منها ولو لم يُسرع صاحبها الى

زجرها لكان الخطب اعظم واتلفت كل لوازم سفرنا . وبعد ان تناولنا طعام الغداء على ضفة النهر سرنا حثيثاً الى القوش فبلغناها بُعيد العصر ولم ننزل فيها بل توجهنا الى دير على مسافة نحف ساعة منها وهو دير السيدة لرهبان مار هرمز الكلدان حيث نزلنا ضيوفاً مكرَّمين فاستقبلنا حضرة رئيسهم العام الاب بطرس كأعزّ الاخوان

ولا غروَ فانَّ رهبان دير السيدة بحسن استقبالهم ارادوا ان يبدوا بشكرهم للرهبانيَّة اليسوعية على فضلها نحوهم في انشاء ديرهم . فانَّ السيد مبارك بلانشه هو الذي في مدَّة قصادته الرسوليَّة على ما بين النهرين كان سعى ببنائه وهندسته . ثم خلفهُ السيد امانتون ( Mgr Amanton ) الدومنيكي فساعدهم في اتمامه وتجهيز اثاثه . وهو دير واسع وثيق البناء بعيد عن ضوضاء العالم وكنيسته رحبة تقويَّة

وكان لهم سبب آخر دعاهم ايضاً الى الترحيب بنا . وذلك ان منشئ رهبانيتهم كان من اهل ماردين من عائلة تقرب عائلتنا وكان اسمهُ جبرائيل دَنبو . فهذا المذكور ولد في ماردين نحو السنة ١٧٨٠ وكان يتعاطى التجارة فسافر في غرَّة القرن التاسع عشر الى البصرة لاشغاله فنُفي هناك بسداء عُضال يئس من شفائه الاطباء . فوجه بنظره الى السماء ونذر الترهب اذا عوفي من مرضه فلم يلبث ان نال العافية التامَّة ورجع الى وطنه ليفي بنذره . لكنَّ المعيشة الرهبانيَّة كانت قد بطلت في بلاد ما بين النهرين منذ قرون عديدة فطلب مشورة احد الرهبان الكرمليين الذي اشار اليه ان يذهب الى لبنان ويأخذ من رهبانه قوانين الترهب ويعود الى وطنه فينشئ فيه ادیرةً لاهل طائفته

فاستحسن جبرائيل راي المرسل الكرملي وقدم لبنان ولبس الاسكيم الرهباني في احد اديرة الرهبان الموارنة فلمَّا اتقن آدابهم النسكية بعد خمس سنوات عاد الى بلاده ثم دعا الى الرهبانية بعض اهل ملته واعطاهم قانون مار انطونيوس ابي الرهبان . ثم عرضوا امرهم على يوحنَّا هرمزد بطرك الكلدان والسيد حنانيشوع مطران العماديَّة فنالوا منهما بعد الجهد الجهيد ديراً قديماً في الجبل المشرف على القوش يُعزى الى رَبان هرمزد كانت بطلت فيه السيرة الرهبانية منذ مئتي سنة فانتقلوا

اليه ورسموه سنة ١٨٠٨ وسكنوا فيه الى يومنا. ورُقي جبرائيل الى درجة الكهنوت سنة ١٨١١ بعد الحاح الاخوة عليه

ثم كثر عدد الرهبان لقداسة منشئهم وحسن سمعة تلامذته وغيرتهم فبعد مدة فتحوا اديرة أخرى منها دير السيدة او دير مارت مريم المذكور (١٨٥٨) ودير مار جرجس (١٨٦٢). وقد اثبت الكرسي الرسولي هذه الرهبانية سنة ١٨٤٤ ومنها خرج نحو عشرين بطركاً او مطراناً او اسقفاً خدموا الكنيسة الكلدانية اصدق خدمة واولوها رقياً وبهاء بشروعاتهم الرسولية المختلفة. هذا فضلاً عن عدد كبير من فضلاء الكهنة والرهبان الذين استحقوا ثناء مواطنيهم عموماً ببرّهم وغيرتهم الرسولية وتآليفهم العديدة

اما الاب جبرائيل رئيسهم فدبرهم احسن تدبير الى السنة ١٨٣٢ حيث مات شهيد محبته. ففي ذلك العام خرج محمّد باشا امير الأكراد في راوندوز لمحاربة جنود الدولة ووالي السادية فوشى لديه بعض اعداء النصارى باهل القوش. فسار اليهم ليقاتلهم فهرب الالقوشيون الى دير ربّان هرمزد لكنّ الاكراد احاطوا بهم وقتلوا منهم كثيرين ومن جملتهم الآباب جبرائيل وبعض رهبانه. وكان الاب جبرائيل نجا من ايديهم اذ رأى امراة تُعول وتصيح على ولدها الذي كان بقي وراءها. فحنّ عليها الاب الحنون وانفتل راجعاً ليخلص الولد فادركهُ الاكراد وقتلوه. وبقي جسدهُ بلا فساد حتى جاء الرهبان ودفنوه باكرام في احدى كنائس القوش فبقي هناك الى سنة ١٨٤٣ حيث نُقلت بقاياهُ الى دير ربّان هرمزد. وقد وجدنا في دير السيدة ترجمة حياته هذه بالكلدانية مع قصة دير ربّان هرمزد من السنة ١٨٠٨ الى ١٨٣٢ فاستنسخناها لمكتبتنا الشرقية ونسختنا هذه قد نقلها مؤخرًا الى الفرنسوية المستشرق الاديب موريس بريار (Maurice Brière) فنشرها في مجلة الشرق المسيحي (Orient Chrétien, XV, 410 et XVI 115, 259 et 346) دون اصلها الكلداني

فبين هؤلاء الرهبان الافاضل قضينا تلك الليلة وفي صباح اليوم التالي بعد الصلاة وزيارة الدير تفقدنا مكتبة الرهبان الغنيّة بمخطوطاتها السريانيّة والعربيّة ودوّنا لسماء الكتب التي رأينا في تعريفها افادة من جملتها كتب طقسية ودينية

مكتوبة على الرق . ثمَّ عند رأد الضحى رافقونا الى القوش لزيارة كنيستها ونظر اثارها

القوش بلدة قديمة اهلها اليوم نحو ٥٠٠٠ معظمهم كلدان كاثوليك وهي تُعدّ كمقتل الكتلكة في جهات الموصل منها خرج عدد من مشاهير رجالهم . وللكلدان في القوش عدّة كنائس زرنا بعضها التي فيها مسحة من الطرز الهندسي القديم كما اننا اجتمعنا ببعض كهنتها الذين يرعون شعبهم بكل همة وتقى . وكثيراً ما سعى المبتدعون البروتستانت وبعض اهل الفساد ان يُلقوا الزؤان في هذه التربة الصالحة ليغووا الالقوشيين بأضاليلهم فرُدُّوا خائبين وعاهم لن يفلحوا ابداً في تحقيق نيّاتهم السيئة — ومما راينا في القوش كنيس لليهود يحجُّون اليه من كل صوب ويزعمون انَّ فيه قبر ناحوم النبي المنسوب في اوّل نبوَّته الى « القوش » . وقد ارتأى البعض انَّهُ ولد فيها مدَّة جلاء بابل . لكنَّ هذا الراي ضعيف والارجح ان القوش المذكورة احدى قرى الجليل التي رأى القديس ايرونيموس اخربتها . وقيل غير ذلك ايضاً والله اعلم . واهل القوش يتكلمون حتى يومنا بالكلدانية العاميَّة كاهل القرى المجاورة للموصل وقد راينا منهم من ينقل الكتب القديمة ويرسم تصاويرها لاسيما الكهنة المولعين بدرس آداب اجدادهم ومآثرهم الخطيَّة

وفي عصر النهار رقينا جبل القوش لنزور دير رَبّان هرمز الشهير وهو على مسافة نصف الساعة من القوش يُصعد اليه على طريق اشبه بالسلَّم لكنَّ السائر اذا بلغ اعلاه لا يلبث ان ينسى تعبهُ لما يشاهد من المناظر الرائقة والآثار البديعة . اذ وصلنا توارد الرئيس ورهبانهُ الى السلام علينا ومؤانستنا واستقبلونا في ديوان كبير يطلّ على سهول الموصل ودساكرها . ثمَّ تلطفوا وقدَّموا لنا القهوة في فنجان من زمن الاب جبرائيل فأثَّر فينا هذا التذكار واستلمنا تلك الذخيرة قبل شرب محتواها

ثمَّ دعانا حضرة الرئيس الاب افرام الى زيارة ديره فكانت تلك ساعة بهجة وسرور اذ تفقدنا بقايا مزار ينطق بلسان حاله عن مفاخر الكنيسة الكلدانية القديمة . وما يقال عنهُ بالاجمال انَّ الدير بما يحيط بهِ من نواحي الجبال يشبه كنيسة عظيمة رفيعة الجدران قبتها السماء وسرُجها الوادي وحنيَّتها معاطف الجبل وراءها وهيكلها دير رَبّان هرمز . وترى على جانبي الدير عدَّة قلالي نقرها قدماء

النسّاك في الجبل شبه الكهوف فعاشوا فيها عيشة ملائكيّة في الصوم والصلاة والاشغال اليدويّة. وكان عددهم يبلغ المئين وهم اليوم عشرة او اثنا عشر. ثمّ درنا في داخل الدير ورأينا قلاليّهُ المستحدثة التي نصفها منقور في الصخر الاصمّ كبعض قلالي قزحيًا او بيوت قرية معلولا

وهناك اسراب عميقة ضيّقة فيها قبور البطاركة النساطرة ثم الكاثوليك الذين سكنوا في هذا الدير. وترى لكل ضريح صفيحة من الرخام عليها دستور ايمان البطريرك بالكلدانيّة مع شعارهِ وتاريخ كتابتهِ. واقدم تاريخ تلك الكتابات من القرن الخامس عشر الى الثامن عشر للمسيح وهي كلها مرقومة بحساب اليونان وسني الاسكندر

ربّان هرمز منشئ هذا الدير عاش في القرن السادس للمسيح وقد خلط البعض بينهُ وبين سميّهِ الشهيد هرمزد الفارسي في اواخر القرن الرابع وقد استولى النساطرة على الدير عدّة اجيال حتى صار الى الكلدان الكاثوليك في القرن الثامن عشر بعد ان فنيت مدّةَ العيشة الرهبانيّة فأضرم جذوتها الاب جبرائيل كما رأيت

وكنيسة دير ربّان هرمز محدثة لكنها محكمة البناء حسنة الهندسة والزينة داعية الى التخشع. وفيها قبر الاب جبرائيل فانّ ابناءه سنة ١٨٤٣ استحضروا لجثتهِ تابوتاً فخيماً ونقلوها بكل رونق واكرام الى هذه الكنيسة فدفنوها في ضريح خاصّ جعلوا فوقهُ كتابة بالشعر الكلدانيّ تشير الى المتوفّى ومقامهِ الرفيع وسنة وفاتهِ. فجئونا عند ذاك القبر وطلبنا شفاعة وليّ الله وصلينا لاجل نموّ وازدهار رهبانيتهِ

ثمّ خرجنا من هناك لنزور مكتبة الدير فوجدنا فيها مع صغرها مخطوطات كلدانيّة وعربيّة استفدنا منها لتاريخ الآداب النصرانيّة في جهات الموصل. ورهبان الدير اذا فرغوا من فرائضهم الدينيّة وبقيّة لشغالهم انقطعوا كقدماء الرهبان الى نسخ الكتب فهمّتهم وهمة امثالهم نجت تآليف كثيرة من تيّار الزمان

ثمّ اختلطنا بابناء الاب جبرائيل في تلك الليلة وعاينّا شظف عيشهم وزهدهم بكلّ ملاذّ الدنيا وحضرنا صلواتهم القانونيّة وتباحثنا معهم ملياً عن تاريخهم وامور رهبانيتهم فذكّرونا بالاب يوسف لابوردِ الذي سكن بينهم سنين وتفرّغ لتعليمهم

اللاهوت و كان بينهم مثالاً لكلّ الفضائل الرهبانيّة. ثمّ رقدنا في قلاليهم الصخرية فكان رقادنا بينهم من اطيب الليالي

وعلى مسافة قريبة من دير ربّان هرمز شرقاً فوق قرية تُدعى عين سفنة كنيسة خصب مزار اليزيدية المعروف بالشيخ عادي فهناك كما يزعمون قبره في مشهد عظيم شيدوه لذكره. امّا الشيخ عادي هذا زعيم اليزيديّة فقد اختلفت الآراء في حقيقة امره وزمانه ومآثره ( فلتراجع مقالة حضرة الاب انستاس الكرملي في هذا المذهب ومنشئه في السنة الثانية من المشرق ). والبعض يزعمون انّ عادي المذكور هو هو القديس أدّي او عدّي احد السبعين تلميذاً الذي بشر بالنصرانية في العراق فحفظ اليزيديون ذكرهُ بعد ان مرقوا عن النصرانية. واجع مقالة للاب بسون ( Besson ) من قدماء المرسلين اليسوعيين في القرن السابع عشر نشرها المستشرق پردويزه (Mr. P. Perdrizet) في مجلة جغرافية عنوانها (Société de Géographie de l'Est, 1903, p. 280 et 429 ) ثم كتاب رحلة البارون فون اوبنهيم ( Max von Oppenheim ) من البحر المتوسط الى خليج العجم ( ص ١٤٧ — ١٦٠ ). امّا مزار الشيخ عادي فقد دخلتهُ سيدة انكليزيّة تدعى جرترده بال فوصفتهُ وصفاً مدققاً في خبر رحلتها ( G. L. Bell: *Amurath to Amurath*. p274-279 ) ويزعم البعض ان تلك الابنية بقايا دير نصراني قديم اتخذه اليزيدية في القرون الوسطى كركز دينهم. وفيه تأييد لزعم القائلين بنصرانيتهم سابقاً

وفي غلس اليوم التالي قدّمنا الذبيحة الطاهرة في كنيسة ربّان هرمز وكان واقعاً في ذاك النهار عيد احد قديسي رهبانيتنا القديس استانسلاوس شفيع حضرة اخينا فشعرنا بتعزية كبرى لتلاوة صلواتنا في ذاك المعبد قريباً من ضريح شهيد من اقاربنا. ثمّ اسرعنا فودّعنا رئيس الدير المفضال وسائر رهبانهِ الذين اختبرنا فيهم جميعاً صحة قول احد القصّاد الرسوليين سنة ١٨٦٠ م انّ هؤلاء الرهبان يجمعون بين التقى والعلم فضفروا اطانفتهم اكليلاً من الفخر لا تقتنيه الأيام »

ثمّ رجعنا الى القوش حيث كان دعانا الى الغداء حضرة الاب بولس اودو ابن اخي المثلث الرحمات البطريرك يوسف اودو الشهير واخذنا عنده صور بعض المخطوطات القديمة وامثلة لاجود الخطّاطين المحدثين رجاء ان نحفر في مطبعتنا طابعاً

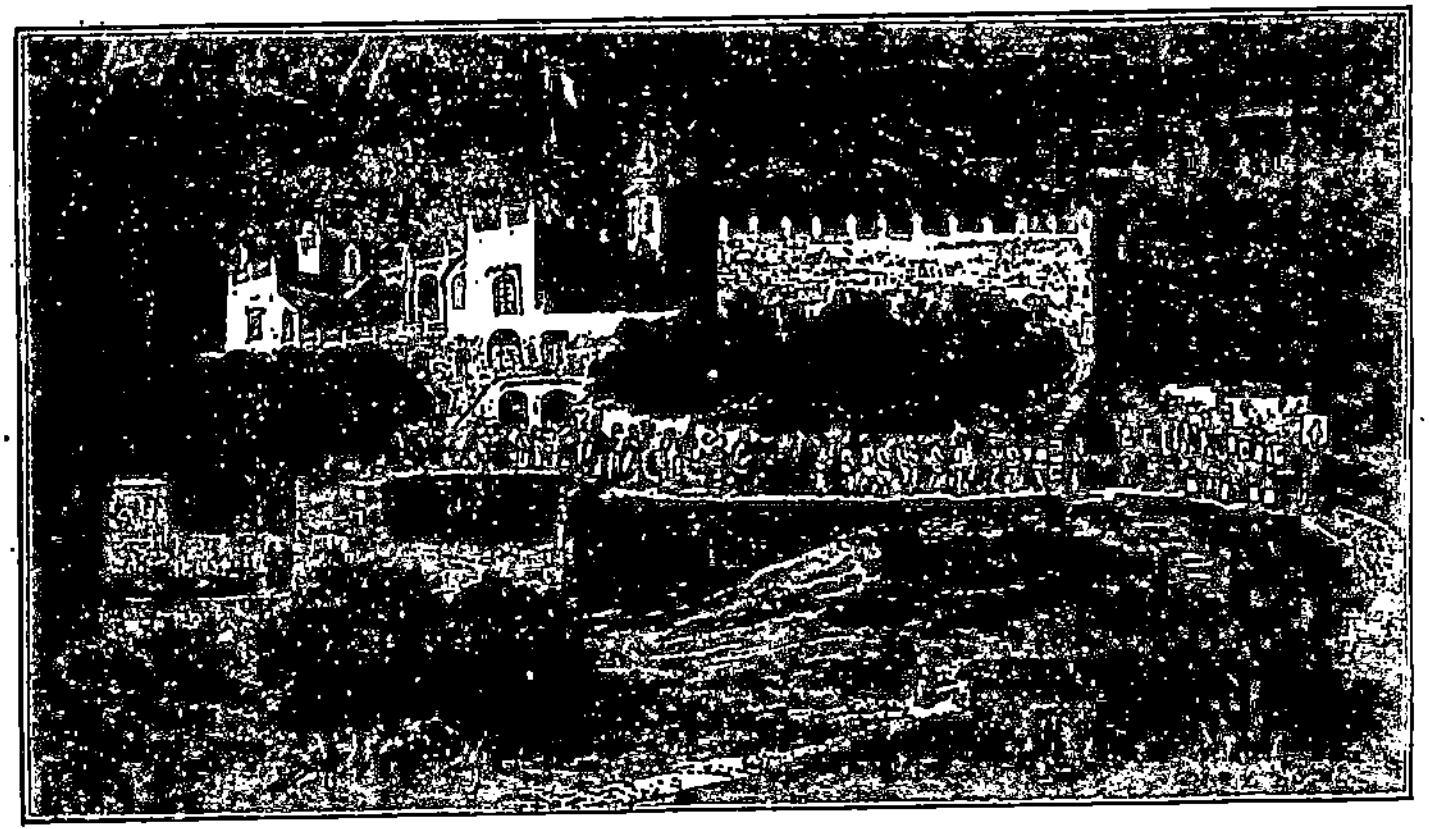

دير مار يعقوب للآباء الدومنيكان

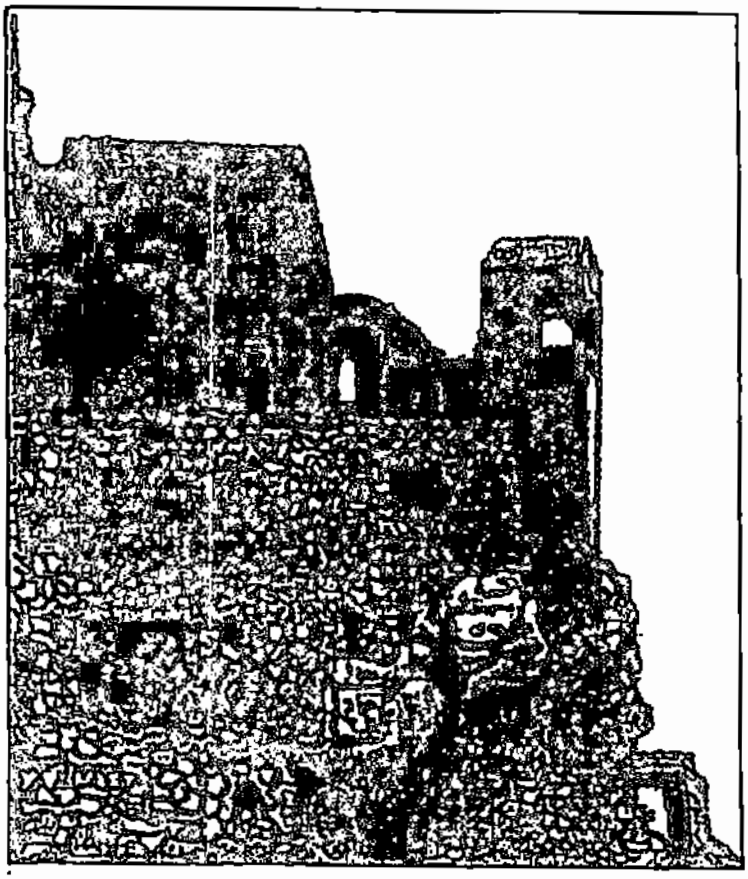

دير رئان هرمزد

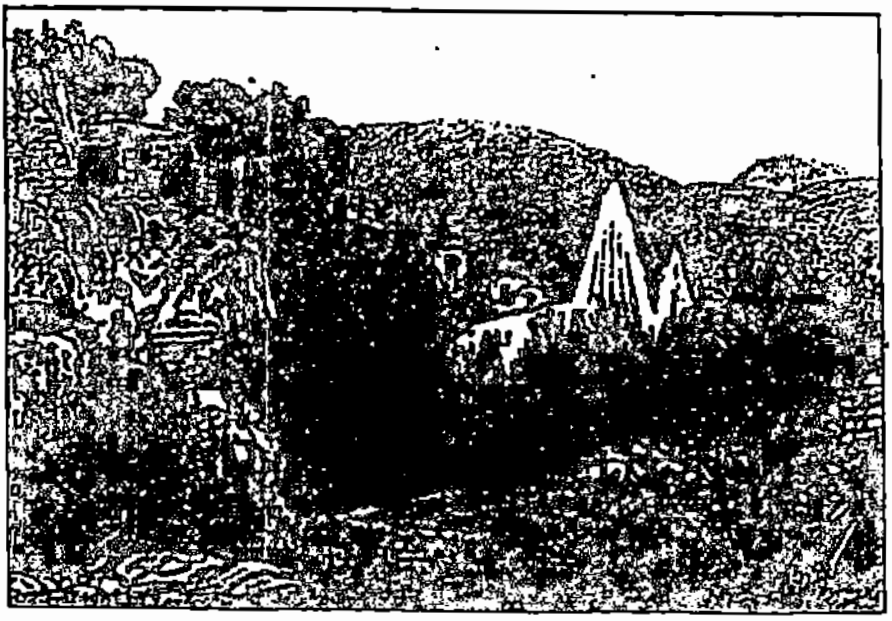

مزار الشيخ عادي لليزيديين

كلدانياً. وهو امر حال الزمان دون اجرائه فعلاً الى العام الماضي حيث نجز ذلك الطقم وهو اضبط قلم للكتابة الكلدانيَّة كما ترى

ܐܓܝ ܕܒܥܒܕܢܐ ܒܗܒܝܕ ܥܡܕܗ ١٨١٨ ܕܠܥܒܕܐ
ܒܗܝܐ ܒܓܢܡܗ ܐܒܓܕܐ ܕܒܥܒܕܢܐ ܐ ܕܙܕܢܥܐ ...

وبُعيد الظهر ودَّعنا اهل القوش ورهبان دير السيدة فسرنا الى تلّ اسقف من قرى الكلدان وسار في رفقتنا ثمانية فرسان ببنادقهم يتقدَّموننا في طريق يكثر فيها اللصوص لمرورها بين تلال. فلمَّا بلغوا بنا الى مأمن شكرناهم واعطينا كل واحد منهم تذكاراً تقويًّا فعادوا دَرْجهم مسرورين. تلّ اسقف قرية على ضفة نهر صغير عدد نفوسها من ١٥٠٠ الى ٢٠٠٠ نفس كلهم كاثوليك يخدمهم كاهن شهير بغيرته وكرمه الاب هرمز. فهذا لما طُبع عليه من الاريحيَّة يقصده الضيوف من نصارى ومسلمين واكراد فيفيضون في محامده ويؤدون له كل الخدم التي يطلبها بل يتحاكمون اليه وينقادون الى حكمه دون تأخر. فعرفنا به ما للكهنة الافاضل من النفوذ حيثما وُجدوا. وقرب تلّ اسقف هذه قد احتفر اثريّ افرنسيّ يُدعى بلاس (Place) حفريَّات اوقفته على اوعية قديمة وكتابات اشوريَّة. وفي شرقي تلّ اسقف خربة خورساباد التي وُجد فيها هيكل سرغون مع الآثار الجليلة والتماثيل التي اغنت متاحف اوربة

قمنا قبل فجر اليوم التالي لنسير باكرًا مؤملين ان نحل الى الموصل في المساء. فبلغنا قرية بطنايا حيث قدَّسنا في كنيسة الكلدان. وبطنايا ايضاً كلها للكلدان الذين يناهز عددهم الالف. وكان راعيها لمَّا مررنا القس ابراهيم وكيل غبطة البطريرك عبديشوع والشبيه بالخوري هرمز في غيرته ونفوذه. فبعد القداس اراانا ما في كنيسته القديمة من المخطوطات الطقسيَّة البديعة ووجدنا عنده مآثر ادبيَّة اخرى لبعض كتبة الكلدان وشعرائهم كزساي ووردا وجاميع فيها ميامر ومواعظ ومقالات دينيَّة وادبيَّة. ثم رافقنا الى دير قريب من هناك على اسم مار اوراها كان قديماً للفاطرة فاستولى عليه الخراب لكنّ القسّ ابراهيم استنفد الوسع في ترميمه ومع قلة ذات يده امكنهُ ان يعيد له هيئته القشية ويجدّد كنيسته وكان له الرجاء الوطيد ان يجعلهُ قريباً مدرسة اكليريكيَّة. وترى اهل الجيرة يساعدونهُ طاقة

جهدهم حتى الاكراد منهم والعربان الذين ينذرون النذور لهذا الدير فتُجاب ادعيتهم . وليس بعيداً من بطنايا بحشيقا التي اكتشفوا فيها عـدداً لا يُحصى من الخزفيّات البابليّة

وقبل الظهر بساعة سرنا جنوباً الى قرية اخرى كبيرة اهلها ايضاً من الكلدان وهي تلّ كيف يبلغ بيوتها ٩٠٠ بيت وعدد نفوسها فوق ٥٠٠٠ حللنا عند كنيستها وقصدنا ان نسير منها الى الموصل في اصيل النهار لكنّ كاهن الكنيسة لم يدعنا نسافر ذلك المساء لانّ الطريق غير امينة فاقنعنا بان ننتظر صباح اليوم التالي فنسير في رفقة بعض المكارين . فتجوّلنا في البلدة وزرنا بعض اهليها . والتلكفيون قوم من ذوي النشاط يهاجرون الى المدن القريبة للارتزاق . ومنهم من يذهب الى بغداد يحترف لاهلها بالخدمة . والآباء الكرمليتان قد انشأوا في ديرهم في بغداد جمعيّة لهؤلاء التلكيفيين لاسيما الاولاد ليهذبوهم ويصونوهم ممّا يحدق بهم من الاخطار في الدين والآداب . وتلّ كيف مبنيّة بالحجارة على خلاف القرى المجاورة وفيها كنيستان كنيسة السيدة المعروفة بمرت مريم وكنيسة مار قرياقوس . وفي الاولى عدّة مخطوطات كلدانيّة كاناجيل وطقوس وبعض تفاسير للاسفار المقدّسة وميامر للآباء وقصائد دينيّة اكثرها لمار افرام ومار يعقوب

يوم الجمعة ١٥ ت١ قمنا في بطن الليل وبعد صلاتنا مشينا في معية ركب نزلوا الى الموصل . فكانت السماء تشعّ بنجومها الساطعة التي تُرى في ما بين النهرين اخراً وانور منها في بلاد الشام لاسيما السيّارات وبالاخصّ الزهرة التي كانت تنير طريقنا وكنّا غير مرّة نشاهدها في السماء بعد طلوع الشمس بزمن طويل لبهاء نورها

وبعد ان قطعنا التلال التي تفصل تلّ كيف عن الموصل بلغنا عند الفجر سهولاً رحبة كانت تنحدر الى دجلة . وكنا نرى من عن يميننا جبال الموصل حيث يقضي الموصليون فصل الصيف . وكنّا نميز في عطف الجبل ابنية ضخمة فافادنا بعض رفقتنا انّ تلك الابنية دير اليعاقبة الشهير بمار متّى حيث قبر ابن العبري امام اليعقوبية في القرن الثالث عشر الذي ترجمناه في السنة الاولى من المشرق فتمنينا لو يسمح لنا الوقت بزيارة ذلك الدير الذي استولى عليه الخراب في زماننا

ثمّ جدّدنا في السير نحو موصل الحدباء حتى لاحت لنا المدينة بمنائرها وابنيتها

وهي على ربوة تشرف على دجلة الجارية في شرقها فقطعنا النهر على جسر من القوارب كما فعلنا في الجزيرة. واذا بعامل اوقفنا ليتفقد حاجاتنا فاخذ تذاكرنا وصندوقة مذبحنا الثقال وكتاب صلاتنا وأبى ان يردّها فأكّدنا لهُ أننا نطالبهُ بها على يد قنصل فرنسة. ثم دخلنا البلد وسرنا توًّا الى دير حضرة الآباء الدومنيكان فاكرموا مثوانا واستقبلونا بمزيد الحفاوة. وكان رئيسهم حضرة الاب ديلامات (R. P. Delamette) نائباً عن حضرة الاب دوقال الذي كان الكرسي الرسولي استدعاه الى رومية قبل شهر ليعهد اليهِ بقصادة سوريَّة (البقية لعدد آخر)

# النهضة الكاثوليكية في حلب

## والرسالات الفرنسويَّة في القرن السابع عشر

للاب فرنسوا تورنيز اليسوعي (تابع)

انَّ النصف الثاني من القرن السابع عشر يستحقّ ان يُدعى العصر الذهبي للنهضة الكاثوليكيَّة في الشرق. فانَّ المرسلين الفرنسويين الذين كانوا بهمّتهم وقنانيهم زرعوا بالدموع اخذوا في اواسط القرن المذكور يحصدون بالفرح

على انَّ ذلك الفرح انَّما كان فرح القلب وتعزية الباطن اما في الخارج فانَّ حالتهم بقيت حرجة في مضايقة دائمة ممَّا يُصيبهم او يصيب ابناءهم الروحيين. ومن تصفّح الرسائل العديدة التي كتبها في ذلك العهد المرسلون وقناصل الدول وسفراء الاستانة يأخذه العجب من كثرة البلايا المحدقة بالرهبان الذين كانوا يفلحون كرم الرب في جهات الشرق ويتذكّر تعداد بولس الاناء المصطفى لاخطاره في التبشير حيث قال (٢ كور ١١: ٢٦) «كنت في اخطار السيوف وفي اخطار اللصوص وفي اخطار من امَّتي واخطار من الامم واخطار في المدينة واخطار في البريَّة واخطار في البحر واخطار بين الاخوة الكذبة وفي التعب والكدّ والاسهار الكثيرة والجوع والعطش والاصوام الكثيرة والبرد والعُري...»

فهذا الوصف ينطبق بتمامهِ على حالة المرسلين. فانَّهم بوجودهم في بلاد اجنبيَّة